

إشكالية الدال والمدلول:

وقد تمت مناقشة الإشكاليات الفلسفية الكبرى من خلال مناقشة إشكالية قد تبدو وكأنها إشكالية لغوية محضة، وهي إشكالية علاقة الدال والمدلول والمربطة تماماً بمفهوم «المدلول المتجاوز». وحتى نفهم المعنى الدقيق لهذا المصطلح الأخير سنطرح فكرة بسيطة جداً، وهي أن لكل شيء مركزاً، وبدون هذا المركز، فإننا لن نعرف للشيء بداية أو نهاية أو اتجاه، أي أنه ستسود الفوضى والنسيية. واللغة لا تختلف عن أية ظاهرة إنسانية، إذ لا بد أن يكون لها مركز، وإن لم يكن لها مركز فإن الكلمات (الدوال) ستكون في حالة فوضى كاملة. ولنضرب مثلاً. . إن قلنا عبارة بسيطة مثل «كان ياما كان». هذه الجملة تفترض وجود متكلم ومستمع، وماض وحاضر ومستقبل، وذات وموضوع، وبدون افتراض هذه الأبعاد فإننا سنضطر أن نسأل: مَنْ يتحدث مع مَنْ؟ أين كان ما كان، وأين سيكون ما سيكون؟ ولنأخذ جملة بسيطة أخرى مثل «سأذهب إلى الكلية غداً». هذه الجملة تفترض أيضاً وجود حاضر ومستقبل، وإرادة إنسانية، وسبب ونتيجة. ولكن ما ضمان صدق هذا الافتراض، وما ضمان مطابقته للواقع؟ الضمان الوحيد هو وجود شيء متجاوز للحاضر والمستقبل والإرادة الإنسانية والسبب والنتيجة، يضمن وجود هذه العناصر واستمرارها رغم تجاوزه إياها. هذا الشيء هو «المدلول المتجاوز»- الركنة الأساسية (المبدأ الواحد- اللوجوس) لكل الدوال، يقف خارج لعب الدوال، فهو موجود قبل وجودها، وهو «غير ملوث» بهذا اللعب، وهو ليس جزءاً من اللغة، التي لا يمكن أن تصبح أداة للتواصل إلا بتوقف لعب الدوال وانزلاقيتها وانفصالها عن المدلولات. ووجود مدلول متجاوز (مفارق) هو الطريقة الوحيدة لكي نخرج من عالم الحس والكمون والصيرورة ونوقف لعب الدوال إلى ما لانهاية، ونحرز التجاوز والثبات، ونؤسس منظومات فلسفية معرفية وأخلاقية. وكل النظم المتمركزة حول اللوجوس (أي النظم التي لها مركز تدور حوله، في مقابل النظم التي لا مركز لها) لا بد أن تتضمن مدلولاً متجاوزاً لعالم الدلالات: هو الإله في المنظومات الدينية، وهو الكلّ المادي الثابت المتجاوز في المنظومات المادية.